

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[310] بالعذاب الإلهي (إنَّهم يومئذ في العذاب مشتركون). وبالطبع فإنَّ اشتراكهم في العذاب لا يمنع من وجود إختلاف في المكان الذي سيلقون به جهنَّم، إضافةً إلى إختلاف نوع العذاب الإلهي. إذ من الطبيعي أنَّ الذي يتسبَّب في إنحراف الآلاف من البشر لا يتساوى عذابه مع فرد ضالَّ عادي، وهذه الآية تشبه الآية (48) في سورة غافر والتي يقول فيها المستكبرون لضعفاء الإيمان بعد محاجة ومخاصمة تجري فيما بينهم: إنَّنا جميعاً في جهنَّم، لأنَّ القرآن قد حكم بالعدل بين العباد (قال الذين استكبروا إنَّنا كلَّ فيها إنَّ القرآن قد حكم بين العباد). وهذه الآية لا تنافي الآية (13) من سورة العنكبوت، والتي يقول فيها الباري عزَّ وجلَّ (وليحملنَّ أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) أي إنَّهم يحملون يوم القيامة أحمالهم الثقيلة، وأحمالاً أخرى أُضيفت إلى أحمالهم الثقيلة، وذلك أثر إغوائهم وإضلالهم للآخرين وتشجيعهم على إرتكاب الذنب. وللتأكيد أكثر على تحقُّق العذاب تقول الآية التي تلتها (إنَّنا كذلك نفعل بالمجرمين) إنَّ هذه هي سنَّتنا، السنَّة المستمدَّة من قانون العدالة. ثمَّ توضَّح السبب الرئيسي الكامن وراء تعاسة هؤلاء، وتقول: (إنَّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاَّ استكبرون). نعم، إنَّ التكبُّر والغرور، وعدم الإنصياع للحقَّ، والعمل بالعادات الخاطئة والتقاليد الباطلة بإصرار ولجاجة، والنظر إلى كلِّ شيء بإستخفاف وإستحقار، تؤدِّي جميعاً إلى إنحراف الإنسان. فروح الإستكبار يقابلها الخضوع والإستسلام للحقَّ والذي هو الإسلام الحقيقي، الإستكبار الذي هو أساس الظلام، فيما أنَّ الخضوع والإستسلام هو أساس السعادة. والذي يثير الإهتمام أنَّ بعض آيات القرآن الكريم توضَّح بصورة مباشرة